المحاضرة 4
العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها

لا تقتصر الجهود القديمة في الأصوات على بيان المخارج الصوتية والصفات التي تميز بين الحروف، وما يتصل بذلك من جوانب معجمية أو صرفية أو بلاغية، إنما تتعدى ذلك على سعته وعمقه إلى تطبيق للمعارف الصوتية على دلالة الألفاظ من خلال التقابل بين الأصوات التي تؤلف الكلمات، والمعاني التي تشير إليها هذه الكلمات.

ويعد ابن جني واحدا من العلماء الذين اشتهروا بالبحث في الأصوات ودورها في تحديد دلالات الكلمات، وذلك نتيجة تعامله المستمر مع هذه الأصوات التي طبعت في ذهنه دلالات مختلفة. فعقد بابا في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وبابا في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وبابا في قوة اللفظ لقوة المعنى، جمع فيها ابن جني أمثلة بين القيمة التعبيرية للحرف = (الصوت الواحد في حال البساطة، وأيضا في حال التركيب، فوقف على نماذج كثيرة منها:

1- أن تكرار الحرف في اللفظ يقابل تكرار الحدث أو الفعل في الواقع. كما في الزعزعة، والقلقلة، والقعقعة، والقرقرة، ونحوها.

2- وأن توالي الحركات في اللفظ يقابل تواليها في الحدث.

3- وأن ترتيب الحروف في الكلمات يقابل ترتيب الأفعال التي تدل على تلك الكلمات، نحو استسقى، واستطعم، واستوهب. فرتبت الحروف على ترتيب الأفعال، لأن (استفعل) فيه الهمزة والسين والتاء زائدة، ثم الفاء والعين واللام أصلية، وقد تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة، وهما قبل حدوث الفعل ، لأنهما طلب له.

4 - وأن تكرار العين في الفعل يقابل تكرار الحدث، فقالوا: كر وقطع، وغلق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل (الحدث)، والعين (في الميزان الصرفي) أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، وهما سياج لها، إذ قلما تجد الحذف في العين.

5 - وأن تكرار العين واللام في البناء يدل على المبالغة في المعنى، والأصل هو تكرار العين، إلا أن اللام جاءت تبعا لها، نحو: غشمشم.

6 - وأن الأبنية بأصوات حروفها تقابل أصوات الأحداث أو الأفعال التي تدل عليها . نحو: الخضم والقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ ، والقضم للصلب كالشعير ونحوه. فقد اختاروا الخاء في الخضم لرخاوتها في الدلالة على الرطب، والقاف في القضم في صلابتها للدلالة على اليابس اتباعا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

وقد حاول اللغويون أن يجعلوا لكل حرف معنى خاصا به، ويكون معنى الكلمة من مجموع معاني حروفها جميعا. من ذلك أن الغين تدل على الاستتار والخفاء في المواد المعجمية التالية: (غاب، غار، غاض، غال، غام، غمد، غمض، غرب، غرق ...) . وأن النون تدل على الظهور والبروز كما في المواد التالية: (نفث، نفخ، نبت، نبذ، نزف، نزع، نجم، نشأ...) وأن القاف تدل

على معنى الاصطدام أو الانفصال مقترنا بصوت شديد تصوره القاف في شدتها، كما في الأمثلة الآتية: (قد، قطع، قرع، قرف، طرق، شق، عقر).

ويمكن لنا أن نستنتج أن كلمة (غرق) مثلا يحصل معناها من تلاقي معاني حروفها، فالغين تدل على غيبة الجسم في الماء، والراء تدل على التكرار والاستمرار في سقوطه، والقاف تدل على اصطدام الجسم في قعر الماء.